



لا يعرف احد اين دفن
صاحب المزرعة المصاب
الدجاج النافق (مروان بو
حيدر)

قالوا إن وزارة الصحة عقمت المزرعة، ليس من المفروض أن يطمنونا علينا ويطمنوننا؟

لكنهم في الليلة ذاتها
أرسلوا شغيباً ونظفوا
المزرعة! هم؟ من هم؟
شو يعرّفني

كلما اقتربنا من منزل
المريض واهله، أصبح
خفض الصوت سمة عامة

(ر) يربي الدجاج لحساب
شركة في مزرعة غير
نظامية ولا تتوافر فيها
الشروط الصحية

ريش من المزرعة». ولكن فلنلخص: (ر) يربي الدجاج لحساب شركة في مزرعة غير نظامية ولا تتوافر فيها الشروط الصحية، يصاب بأنفلونزا الخنازير، فيما مزرعة الخنازير غير مصابة. السؤال: من أين أتى الفيروس إن؟ وخاصة أن وصف المصاب أقرب إلى شخص لا يخرج من مزرعته إلا لبيته؟ يجيب: «أصلاً الفيروس لم يعد يأتي من الحيوان، صار عم يجي من الصين وماليزيا وغيرها». يكمل لنا أنه عندما تبين أن شقيق (ر) مصاب بالعدوى، أرسلوه إلى مستشفى الحريري ببيروت، لأنه لا أمكنة في مستشفى المعونات في جبيل، قعد هناك بضعة أيام حتى أبل من مرضه».

واليوم؟ كيف حال (ر)؟ يقول: «لا يزال الحكيم يعطيه مخدراً ليبقى نائماً، لأن رثتيه متقرحتان. وحسب الطبيب، فإن المخدر يوسع الشرايين فيصل الأوكسجين أكثر إلى الرأس... اليوم وضعه جيد: مؤشرات جيدة، الحرارة ذهبت عنه، مفروض أن يوقظوه خلال 48 ساعة، لكن هناك خوف من أن تتمزق الرئتان، ففيهما تليف بخاف الطبيب أن يمزق الرئتين إذا سعل!» وماذا عن الأهالي؟ يجيب: «هناك توجه لإبعاد الناس عن الموضوع»! لكن الناس مذعورون والشائعات تنتشر، يقول ساخرًا: «إيه طاعون وجردون وما يعرف شو... لكن صار لقاء مع العائلة لإفناهم بالأدوية بالإنسان إلى أن ينهوا علاج التاميفلو، ولقد تفهمت العائلة الأمر. الناس فزعانة ومن حقها، ولكن ماذا نفعل؟».

يبقى سؤال، من أين أتت العدوى؟ يقول: «نحن نسال كما كل الناس، وكل ما لدينا الجواب الرسمي». نسأله إن كانت لديه نسخة من الفحوص المخبرية، يغيب لدقائق ويعود بنسخة من التقريرين: الأول مصدره مستشفى الروم ويقول إن المريض مصاب بـفيروس H1N1، والثاني من مختبر الفئران التابع لوزارة الزراعة يفيد بأن «عينات الريش والبراز التي أخذت من المزرعة خالية من الفيروس». وأين الطيور النافقة؟ هل فحصت؟ يجيب: «لا نعرف، (ر) وحده يعرف، وهو غائب عن الوعي. ربما دفنها أخوه؟ لكني سألته وقال إنه لا يعرف. ربما وضعها في أكياس الزبالاة وراحت بكميون الزبالاة؟ ما يعرف. أنا إلى الفحوصات». وماذا عن المزرعة الأخرى التي لا تبعد أكثر من 50 متراً عن الأولى؟ يقول: «لا مشكلة فيها لأنها مغلقة وتهوئتها جيدة». يضيف: «هل الناس ربطت بين ما حصل عند (ر) وما أصابه. يعني أنه في اليومين الماضيين، ولما كبرت الدجاجات وصار بدو يسلمهم نفقوا. الهوا (تشيكين) بلغ أن هذا الأمر طبيعي بهذا العم»!

وماذا عن دعر الأهالي؟ يقول: «حالة الذعر قطعت، وزارة الصحة لم تقض. سألوني إذا كان يجب أن نقوم بندوة توعية ليرسلوا من يقوم بذلك، ولكن كانت هناك استحالة، لأنه كان عندنا بين 24 تموز وأول آب مهرجان رياضي (1) ولتجني تسحب الناس من المهرجان والمهرجان ماشي ماش زابطة». على وجوهنا كان الوجوم لا شك واضحاً، وجوم حاولنا تمويهه بالإقبال طوعية هذه المرة على شرب العصير الذي كانت سيدة المنزل قد وضعت أكوابه أمامنا.

زراعين في بيته المتواضع، إلا أنك تأسف على ما آل إليه البيت، وخاصة أن من أسكن العمال هنا لا شك في أنه لم ينطلق من التقويم أعلاه.

من أجلنا توقف الزوجة رئيس البلدية، عقل الحلو. يروي الرجل الرواية ذاتها، ولكن مع تفاصيل أخرى، لكونه هو، كما قال لنا، من تسلم كل موضوع التدقيق في إصابة الرجل. يقول إن (ر) كان يطب نفسه بنفسه، فيتناول أدوية مضادة للالتهابات بكثرة، وأنه عمل فوجين دجاج من دون شغيب معه، لا بل إنه كان أحياناً يعمل بالليل «حتى يلحق»، فتعب كثيراً، وقد قال لي عندما رأى دماً في البول، إن معه بحصة في الكلية، فذهب إلى الطبيب، لكنه أخذ مضادات الالتهاب عشوائياً».

وماذا أيضاً. يقول: «لما بين معو H1N1 بالمختبر، تعارك مع المستشفى ورجع ع البيت، ثم أقنعه الطبيب بالذهاب إلى المستشفى. هوي وناظر بالمعونات تديبرلو الحكيم محل غاب عن الوعي وبعدو غايب!» لم نفهم: هل شخصاً الفيروس في مستشفى المعونات في جبيل؟ قال: «لما بين بالفحوصات بجبيل (1). لكن طبيبه طلب أن يرسل فحصاً لمستشفى الروم. أخذنا العينة (بصاق). أنا أخذتها، فطلعت النتيجة أنه مصاب بـفيروس H1N1، أي أنفلونزا الخنازير، وبدأوا بعلاجه على هذا الأساس. على ضوء ذلك اتصلت بالدكتور شوقي الحلو، طبيب القضاء في وزارة الصحة، فتحرك مع أنها كانت عطلة، نحن اليوم (الأربعاء الماضي) بالأسبوع الثالث. اتصلنا بوزارة الزراعة فأرسلوا وأخذوا عينة من المزرعة، كذلك أخذوا عينة من مزرعة خنازير في البلدة، لأن لغت الناس كثر. طلعت النتائج بعد 48 ساعة: ما في شي بالدجاج ولا بالخنازير». هل يقصد أنهم فحصوا الدجاج النافق؟ يقول: «لا نعرف أين دفن الدجاج، قصدت أنهم أخذوا عينات

(ر) حملت الفيروس بس تعالجت. هوي همل حالو كثير». يقولها أسفاً. نحاول أن نطرق باب عائلة المريض لكننا نسمع ما يشبه شجاراً، فنؤجلها. قلنا، لنقصد المختار ناصيف الحلو.

«مختار ما في. مختارة في»، تقول الخادمة الأجنبية. على كنبه في الصالون الذي تزينه صورة لزوجها مع رئيس الجمهورية أيام كان قائداً للجيش. تجلس المختارة ليليان أمام نرجيلتها. تكرر لرواية إصابة (ر)، لكن مع تفصيل إضافي: لقد بصق دماً.

تروي المختارة: «لما بصق دماً، ذهب إلى الطبيب، لكنه تعارك مع الممرضات ورجع إلى البيت. استمرت حرارته بالارتفاع ثم لم تعد تنزل. لما استوى ع الآخر، كانت رثتاها قد انتفتا». وماذا عنهم، الأهالي؟ تقول: «يعني عنده مزرعة دجاج، ونفق العديد منها، وعلى ما يبدو دفنها في السواد (براز الدجاج). حوالي 24 الشهر جاءت وزارتنا الصحة والزراعة، أخذوا عينات وأرسلوها إلى المختبر، لكن تبين أنها نظيفة». وكيف عرفت؟ تقول: «دوا خبر للبلدية لأنها هي من طلبتهم». وماذا عن الهليكوبتر التي قبل لنا إنها رشت مبيدات أمس؟ تقول: «لا أعرف، هناك دائماً تحليق، فتكنا الجيش قريبة». وهل زارتهم وزارة الصحة أو زارت الأهالي؟ تقول: «وزعوا علينا ملصقات عن النظافة والتعقيم، لكنهم قالوا إن الحالة منزلية ولم تنتقل إلى الجيران»، وكيف عرفوا بذلك إن لم يفحصوا الجيران؟ تقول: «والله ما يعرف».

مقابل مدخل منزل رئيس البلدية، منزل حجرى قديم على مقربة من تمثال القائد الشيعي فرج الله الحلو. يتناهى من النافذة صوت مسلسل سوري كان التلفزيون يعرضه. هل المنزل ماهول؟ نسال مضيفتنا، فتقول إن بعض العمال الزراعيين يقطنوه اليوم. ومع أنك تظن أن القائد الكبير كان ليسر بإيواء عمال

غير نظامية بمعنى الظروف الصحية، والرجل على احتكاك دائم بالدجاج، والوباء بدأ منه هو بعد نفوق أعداد كبيرة لا نعرف أين دفنها، أضف إلى ذلك إشارات أخرى، من النوع الذي أشار إليه رئيس البلدية الذي قابلناه في ما بعد، فأخبرنا أنه أقنع صحافيين اتصلوا به بالأدوية التي تطرقوا إلى الموضوع حرصاً على... مصالح الناس، «خسارة مئات آلاف الدولارات (يقصد مزارعي الدواجن) منشان شي مش متأكدين منو؟ لشو؟ وبعدين الوباء انتهى».

في منزل آخر، كانت أكواب العصير هي الأخرى بالمرصاد، لكن السيدة التي حملتها سارعت إلى طمانتنا إلى أنها مجرد «ميرندا»، أي إنها آتية من علب مقلدة. «تعترف» السيدة بأنها اتصلت «بوزارة الزراعة سراً، فقالت مساعداً الوزير إنها ستاتي شخصياً، وفعلاً، أتت في اليوم التالي، لكنهم في الليلة ذاتها أرسلوا شغيباً ونظفوا المزرعة». هم؟ من هم؟ شو يعرّفني، تقول، أصحاب المصلحة». ومن قال لها ذلك؟ تجيب: «نحننا بضيفة، ما في شي بيتخى. إنا واحد لقط شي من محل، وقال المحل ما فيه شي؟ بعدين وين الدجاجات اللي ماتوا؟ ليه ما منعرف وين دفنهم حتى تفحصهم وزارة الزراعة؟».

كلما اقتربنا من «مركز» الإصابة، أي منزل المريض واهله، أصبح خفض الصوت سمة عامة. يسألنا شاب بعد أن يخفض صوته: «لما شقينا عليه (زناه) بالمستشفى، سألنا الحكيم إن كان علينا أن نتناول التاميفلو، فقال ما في لزوم لأننا جلسنا في صالون المستشفى، فيما المريض لم يتنفس بوجهنا ولم يلمسنا، مزبوط». نسأله إذا كان خائفاً؟ ينظر إلى بضعة أولاد يلعبون في الباحة المجاورة وهو يقول: «هلق عيلة (ر) كلها عم تاخذ دوا للوقاية، ما حدا فات بيتهم. ابن أخيه وزوجته تركوا البيت وراحوا على بيت أهلها، زوجة

وماذا عن أفراد عائلته؟ تقول أنطوانيت: «صحيح زوجته أصيبت، لكنها تعافت، وكذلك أخوه الذي يلجأ زباله الضيفة وزوجته وابنهما لكنهم تعافوا أيضاً. ومن يؤكد لي أن العمال الملبانة في محيط المزرعة غير مصابين؟» تسأل: وماذا عنهم؟ وعن قن دجاجهم البلدي؟ هل فحصهم أحد؟ يجيبون: «ما حدا دق بابنا، اشربوا اشربوا ما تخافوا، مياهنا من بئر بعيدة».

في منزل آخر في البلدة، تهمس السيدة الخمسينية كأنها تخاف أن يسمعها أحد تتحدث «بالموضوع». العديد ممن تحدثنا إليهم رفضوا ذكر أسمائهم. لا بل إن بعضهم «اعترف» بأنه اتصل سراً بوزارة الزراعة أو بوزارة الصحة. تعيد السيدة ما كرره الجميع «شاعت الخبرية لما فات (ر) على المستشفى. قبل بجمعة كانت حرارته عالية وما عم تنزل، الطبيب أصر على نقله إلى مستشفى، لكنه رفض طالباً أن يعلقوا له مصلاً بالبيت. تأخر على العلاج». نسال الصبية إذا كانت تعرف ما مشكلة ابن بلدتها، فتدرد: «القصة غامضة. بالبداية لم نكن نعرف ما به. ساعة يقولون ذبحة، ساعة الكلى المهم، زناه في المستشفى وقال لنا ممرض إنه مصاب بـفيروس H1N1 إضافة إلى H2N3. ثم التقط أخوه العدوى. فخفنا كثيراً، العدوى تعني وباء. الأكثرية قالوا إنه فيروس أنفلونزا الخنازير... عم يضحكوا علينا» نسالها لم تظن ذلك؟ فتجيب: «عندو مزرعة دجاج مش نضيفة. بلكي لاقت شي من الطير؟».

سؤال منطقي، ولو أننا نعرف أنه بعد انتقال الفيروس إلى الإنسان لم يعد الحيوان شرطاً لنقله إلى الناس، بل أصبح ينتقل من شخص إلى آخر، لذلك سُمي وباء. مع الاعتراف بأن نوعية المعطيات تجعل من الصعب تصديق أن الإصابة لا علاقة لها بالبيئة الحاضنة للفيروس، أي المزرعة، فهذه الأخيرة